السنة الجامعية 2022/2021
محاضرات مقياس:"منهجية إعداد مذكرة"
لطلبة السنة الثانية ماستر: تخصص إفريقيا جنوب الصحراء

المحاضرة الأولى: اختيار موضوع البحث: أهداف ومعايير

البحث العلمي التاريخي ينطلق من إشكالية، ويسير وفق منهجية علمية في جمع مادة تاريخية للوصول إلى نتائج، وكما يراه البعض هو عبارة عن انجاز تقرير كامل من طرف باحث، على أن يشمل العمل كل مراحل الدراسة من اختيار الموضوع إلى الوصول إلى النتائج، مرتبة ومسنودة بالحجج والوثائق وفق شروط المنهج العلمي.

إن تخلي الباحث عن منهج البحث العلمي التاريخي جهلا أو استهانة يضر بنفسه أولا وبنتائج بحثه ثانية وبالبحث العلمي والباحثين من بعده ثالثا، وكثيرا ما تضيع الجهود والأوقات رغم نية البحث اذا تخلى الباحث على شروط المنهج ولم يلتزم بخطواته منذ البداية، بدءا من اختيار الموضوع الى جمع المادة وتحليلها وتركيبها وصولا الى عرض البحث وتحريره وضبط نتائجه؛ إن ما يميز الطالب الجامعي والباحث الأكاديمي بصفة عامة هو تحكمه في منهجية البحث التي تمكنه من حسن جمع واستغلال وعرض المادة التي توفرت في المصادر والمراجع، ورغم أن الطالب يدرس عدة مواد في مرحلتي الليسانس والماستر فتبقى المقاييس المتعلقة بالمنهج أهمها على الإطلاق خاصة لمن يريد مواصلة البحث العلمي.

بالنسبة لمذكرة الماستر هي مرحلة أولى في طريق البحث العلمي، لا يأتي من خلالها الباحث باكتشاف جديد، ولكن يفتح آفاقا جديدة للبحث، ويتعرف على مصادر ووثائق لم يكن يعرفها، ويتدرب على خطوات ومنهج البحث العلمي الصحيح.

اختيار الموضوع

يمثل اختيار موضوع البحث مرحلة الانطلاقة، ومتى كانت جيدة وصحيحة ستسهل المهمة على الطالب في المراحل التالية، وحسن اختيار الموضوع تجنب الطالب حالة من التردد أو الاضطرار للتغيير والتعديل، لذلك على الطالب أن يأخذ الوقت اللازم مع الاستعانة بالأستاذ المشرف وغيره، ويستحسن لطلبة الماستر 2 أي يشرعوا في تلمس موضوعات لبحوثهم من السنة الأولى ماستر، وينجزون أعمالا حولها مع التعاون فيما بينهم والاستعانة بالأساتذة، وعلى الطالب أن يبذل جهدا ويضع نصب عينيه شروط ومعايير الاختيار الصحيح والموضوع الجيد وأهمها:

- يستحسن أن يقترح الطالب على المشرف بعض العناوين بدل أن يطلب من أستاذه أن يقدم له موضوع بحث، لأن لحرية الاختيار أهمية بالغة وأثر نفسي ايجابي في الباحث، ولكن هذا

لا يمنع من ضرورة توجيه الأستاذ للطالب الباحث، باعتباره أدرى بصعوبات البحث ومصادره وأدواته من جهة وبقدرات الطالب وظروفه من جهة أخرى؛ ولكن الظروف اليوم قد لا تسمح لكل الطلبة باختيار موضوعات بحوثهم، وعادة ما يعتمدون على الأساتذة نتيجة لضيق الوقت أو قلة اهتمام الطالب بهذه الخطوة – اختيار الموضوع – أو كثرة الطلبة في مرحلة الماستر، وفي حالة ما إذا تم اقتراح الموضوع على الطالب فعليه أن يتكيف معه ويرتبط به ويكسب رغبة البحث فيه.

- على الطالب أن يتجنب مرحلة التردد في اختيار الموضوع، ويجب الحسم بعد القراءة الأولية حول مجموعة من المواضيع مع استشارة المشرف.

- يمكن للباحث أن يعدل موضوعه أو يغيره بالكامل في الأسابيع الأولى إذا تبين له أنه مدروس بنفس الأبعاد وليست له مصادر جديدة عنه، أو تبين له صعوبة الاستمرار فيه لأنه لا يملك أدواته.

- على الطالب أن يتجنب الموضوعات التقليدية والصعبة، مع ضرورة امتلاك الطالب لأدوات البحث خاصة لمرحلة الماستر مثل: اللغات، توفر المصادر والمراجع الأساسية، الخبرة اللازمة والقدرات المالية.

- على الطالب أن يراعي في هذه المرحلة – مرحلة الماستر – عامل الوقت والإمكانيات المادية والظروف المحيطة بالبحث كعمل الباحث والظروف الاجتماعية الخ.

- بعد اختيار عنوان البحث على الطالب أن يقوم بقراءة أولية لمدة أسبوعين أو ثلاثة، ثم يحرر مشروع بحثه للمشرف في ما لا يقل عن تسع صفحات تتضمن على الأقل: أهمية وأهداف الموضوع – طرح الإشكالية – خطة أولية ومفصلة للبحث – قائمة مصادر ومراجع أولية؛ وبعد مراجعة المشروع مع المشرف يأذن له بالشروع في جمع المادة أو ينصحه بتوسيع القراءة الأولية لاستكمال معرفته بموضوع بحثه.

- ضرورة حضور رغبة الباحث في الموضوع وفي البحث عن الحقيقة والسعي للتعرف على حيثيات موضوعه.

- ضرورة توسيع القراءات حتى يتوفر له زاد من المعرفة والمادة العلمية لبحثه.

- ضرورة تتبع مادته العلمية وآراء المؤرخين والباحثين في موضوعه من الوثائق والمصادر ومختلف الدراسات الأكاديمية والجديدة منها خاصة.

- الأمانة العلمية في نقل المادة العلمية ومرجعيتها فهي أساس الباحث الجاد.

- إعمال العقل في كل مرحلة من مراحل البحث بداية من اختيار عنوانه وتحديد أبعاده الثلاثة بدقة: البعد الموضوعي والزماني والجغرافي.

المحاضرة الثانية: القراءة الأولية: مصادرها طريقتها أهدافها

القراءة الأولية عملية تسبق مرحلة جمع المادة التاريخية للموضوع، وترجع أهميتها إلى أنها تيسر مرحلة جمع المادة التاريخية –التقميش -، وفي الحقيقة أن كل مرحلة هي تمهيد وتيسير للمرحلة التالية، ولذلك على الباحث أن يعطي لكل مرحلة حقها من الوقت والجهد ويحقق شروطها. فما هي أهداف هذه المرحلة وكيف تكون؟

ينتظر الباحث من القراءة الأولية تحقيق ثلاثة مطالب أساسية على الأقل وهي:

أولا: تحديد وضبط أبعاد موضوع البحث الثلاثة

ونقصد بها البعد الموضوعي والبعد الزماني والبعد الجغرافي (المكاني)، وهي عملية مهمة لما بعدها، وحتى لا يتيه الباحث في مرحلة جمع المادة العلمية، وكذلك تساعده في ضبط عناصر البحث.

أ- البعد الموضوعي: والمقصود به ليس الطابع السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي فقط، ولكن مجال البحث في إحدى أو بعض المحاور من تلك الجوانب، فمثلا موضوع:**"قضية التدخين عند فقهاء الجزائر في الفترة الحديثة"** يرتبط بالمجالين الاجتماعي والثقافي، ويناقش قضية محددة هي قضية التدخين، فلا يصح الخروج عنها إلى قضايا أخرى ولا إلى مسائل ونشاطات أخرى للعلماء إلا ما كان له علاقة بمسألة التدخين.

ب- البعد الزماني: ونعني به تحديد الإطار الزماني للموضوع، وعادة ما يكون مضبوطا ومحددا بسنوات أو قرون في المواضيع الحدثية الوقائعية وتغطي غالبا الجوانب السياسية والعسكرية، ويكون الإطار الزماني تقريبيا في البحوث التي تدرس حالات لموضوعات اجتماعية وثقافية واقتصادية خاصة، ففي الموضوع السابق " قضية التدخين..." إطاره الزماني هو الفترة الحديثة ويمكن تعديل الموضوع وتحديده في قرن أو قرنين، وأحيانا قد يختفي البعد الزماني في عنوان البحث الذي يرتبط بعمر شخصية البحث أو دولة أو حرب، مثل عنوان **"النشاط السياسي للحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية"**؛ إن تحديد الإطار الزماني منذ البداية يجنب الباحث تضييع الوقت في جمع المادة العلمية التي لا ترتبط بصلب موضوعه، وتمكنه من ترتيب المادة التي توفرت لديه إضافة إلى حسن تعرفه على وثائق ومصادر بحثه.

ج-البعد الجغرافي (المكاني): لا تقل أهمية هذا البعد عن البعدين السابقين، وله نفس الأهداف والخصائص إذ قد يظهر كما في العنوان الأول أو يختفي كما في العنوان الثاني، حسب طبيعة موضوعات "الأحداث" و"الظواهر"؛ وعلى كل حال هذا التحديد ضروري في المرحلة الأولى، ويقوم به الباحث بالاستعانة بالمشرف أو غيره من الأساتذة خاصة منهم من عمل في مثل موضوع بحثه.

ثانيا: تحديد إشكالية البحث

ضبط وتحديد الإشكالية محطة أساسية وضرورية في المرحلة الأولى، والبحث سمي بحثا لأنه يبحث عن إجابة لإشكالية أو مجموعة أسئلة، وهي غير الأسئلة الفرعية التي تتخلل متن البحث في أبوابه وفصوله، فالأولى تأتي في البداية قبل البدء في جمع المادة العلمية، والثانية

يطرحها الباحث أثناء جمع المادة التاريخية ولها أهميتها في تحفيز الباحث وتتبع جزئيات البحث، كما تسمح كثرة الأسئلة بترقية وتأهيل الإشكالية الأساسية، التي لا تكون نهائية في البداية وتضبط وترقى مع مسيرة البحث، ويجب أن ترتبط بالموضوع الأساسي في عنوان البحث، وأن لا تكون بسيطة في صيغة سؤال استفهامي، ويستحسن طرحها بصيغة جدلية أو البحث في أبعاد قضية ما، حسب طبيعة الموضوع ومصادره؛ ومن خصائصها:

- أن لا تكون صعبة إلى حد استحالة الوصول إجابة خاصة إذا فقد الباحث أدوات العمل في موضوعه (توفر الوثائق والمصادر – اللغة – الإشراف...).
- أن تكون الإشكالية ضمن الاختصاص العلمي للبحث ومرتبطة مباشرة بالعنوان.
- الإشكالية هي البحث ويجب أن تكون لها أهمية ومنفعة للبحث العلمي أو مجالات التنمية في المجتمع أو على الأقل تقدم إضافات في تكوين الطالب العلمي.
- لخص بعض الباحثين معايير اختيار الإشكالية في: حداثتها – أهميتها وقيمتها العلمية – اهتمام الباحث بها – توفر الخبرة والقدرة على معالجتها – توفر الأدوات والإشراف.

ثالثا: تصميم خطة أولية للموضوع.

قد يسأل السائل كيف يمكن لباحث مبتدئ في مرحلة الماستر أن يضع خطة لموضوع مذكرة وهو يجهل عنه الكثير، نقول بداية توجد ثلاثة عوامل تساعد الطالب على وضع خطة أولية لموضوعه هي: معرفته المسبقة ولو كانت بسيطة التي اكتسبها من عرض بحوث السنوات السابقة في مرحلتي الليسانس والماستر، ومما تلقاه من الأساتذة، فهي وان كانت تجربة محدودة فيمكن أن تساهم في فتح بعض الأبواب المغلقة في بداية الطريق، والعامل الثاني يجب أن يضع الطالب نصب عينيه علاقة الخطة التي سيضعها بعنوان البحث، فقد يكون العنوان مشتملا على قضيتين أو ثلاثة أو قضية واحدة، وقد يكون موضوع بحثه دراسة واقعة أو شخصية أو كتاب أو دراسة حالة معينة – يعني ظاهرة –؛ إضافة إلى أن مجموعة من المواضيع في الجانب السياسي مثلا وفي فترات زمنية أو أقاليم حضارية وجغرافية مختلفة تتشابه في كثير من عناصرها – الموضوعات-، وكذلك الحال في موضوعات الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي، والعامل الثالث وهو الأهم أن الطالب لا يستطيع رسم خطة أولية لموضوعه إلا بعد القراءة الأولية التي تزوده بمعارف أولية ومعلومات ولو كانت بسيطة عن موضوعه، وهكذا تتعاون هذه العوامل الثلاثة لبناء مخطط ولو مختصر للموضوع فيعرضه الطالب على المشرف الذي يؤشر عليه بالموافقة أو يطالبه بتوسيع قراءته حول الموضوع وإعادة صياغة خطة أخرى تكون أصح من الأولى؛ ويجب التأكيد على ضرورة إعمال العقل وبذل الجهد في هذه المرحلة، ولا يعتمد الطالب على المشرف في وضع الرسم للموضوع بل عليه أن يقدم محاولة ثم يطلب منه التصحيح والمساعدة.

كيف تكون الخطة؟ إن لم يستطع الطالب وضع خطة مفصلة بثلاثة مستويات، فليصمم خطة عامة تتضمن العناصر الأساسية وهي الفصول والعناصر الفرعية – أي خطة من مستويين-

مع مقدمة مختصرة تتضمن على الأقل أهمية الموضوع وبعض الدراسات الأكاديمية حوله مع طرح الإشكالية، وما يقال عن الإطار الزماني يقال عن التصاميم، فكلما كانت المعرفة بالموضوع ناقصة أو القراءة الأولية عنه محدودة كلما كانت الخطة في البداية عمومية، وعلى الطالب أن:

- يتجنب طول الفصول التمهيدية والتأخر في الدخول لصلب الموضوع.
- يراعي التوازن – التقارب – بين الفصول في عدد عناصرها الفرعية والجزئية.
- كلما كانت الخطة مفصلة أكثر كلما سهل عليه جمع المادة وصبها في العناصر المناسبة.
- الخطة تثرى وتعدل في مراحل البحث التالية بهدف التصويب، وذلك بإضافة أو حذف أو دمج العناصر أو التقديم والتأخير فيها، مع ضرورة إخبار المشرف بكل تطور وتغير في التصميم.
- مهما قيل عن الخطة أنها أولية فيجب أن تكون قريبة من الصحة، وإلا لا يستطيع الباحث الشروع في مرحلة التقميش – جمع المادة –، وعادة ما يقرر المشرف قيمة الخطة وعلاقتها بموضوع البحث.

رابعا: وضع قائمة مصادر ومراجع

تكون هي الأخرى أولية وتثرى خلال المرحلة التالية، ويجب أن يراعى فيها التنوع، بحيث تشتمل على: الوثائق – إن وجدت – ، المصادر، الدراسات الأكاديمية والمقالات العلمية بالمجلات المتخصصة محليا ودوليا، خاصة منها القريبة لموضوع البحث حتى تبرز النتائج القديمة من الجديدة، إضافة إلى المراجع العامة ودوائر المعارف والقواميس المتخصصة حسب طبيعة الموضوع.

يحصل الباحث على مصادره أثناء القراءة الأولية من الكتب العامة المختصرة ودوائر المعارف والمقالات العلمية المتخصصة، وتشترك هذه الأدوات في أنها تقدم للباحث مادة مختصرة مركزة حول موضوعه، وتعرفه بأهم مصادر ومراجع بحثه، وعلى الطالب أن يركز جهده في هذه المرحلة – القراءة الأولية – على المقالات المتوفرة بالمجلات المتخصصة الموجودة اليوم بين يديه في أرضية المجلات العلمية الجزائرية "ASJP"، فتمكنه هذه الآلية من تحديد أهم مصادره ومراجعه؛ إضافة إلى الاستعانة بالأساتذة في جامعته أو خارجها خاصة وأن وسائل الاتصال اليوم قضت على الكثير من المصاعب في هذا الطريق.

إن عملية تحديد قائمة المصادر والمراجع لا تتم من خلال العناوين فقط، ولكن يجب الاطلاع على مضمونها ولو بقراءة المقدمة وفهرس الموضوعات، حتى يتأكد الطالب من علاقة المرجع بموضوع البحث لأن الكثير من العناوين مغرية وقد تخدع الباحث في علاقتها بالبحث؛ أما المصادر خاصة منها غير المحققة فيمكن الاطلاع على مضمونها بالرجوع إلى الدراسات العلمية التي أنجزت حولها.

إن توقف الباحث عن حصر وتحديد مصادره ومراجعه يرتبط بعدة عوامل أهمها: طبيعة العمل إن كان أطروحة دكتوراه أو رسالة ماجستير أو مذكرة ماستر، فهذه الأخيرة قد تتم العملية في بضعة أسابيع باعتبار أن مدة إنجاز المذكرة بكاملها لا تتعدى سنة، العامل الثاني توفر قائمة متنوعة في اللغات – بمعنى تنوع المدارس التاريخية ووجهات النظر – وأنواع المصادر(وثائق – مخطوطات – مصادر ...) إضافة إلى ضرورة وجود الدراسات الأكاديمية والمقالات العلمية؛ وفي الأخير يمكن إضافة عناوين أخرى للقائمة أثناء مرحلة جمع المادة.

بعض المراجع

المراجع المتعلقة بمنهجية إعداد بحث علمي كثيرة ومتنوع ومتوفرة على النت، ونذكر منها:

- ناصر الدين سعيدوني، في منهجية البحث التاريخي.
- محمد العربي معريش، دليل الطالب في منهجية البحث والعرض التأريخيين.
- جمال الخطيب، إعداد الرسائل الجامعية، دليل عملي لطلبة الدراسات العليا؛ دار الفكر، الأردن،2006

محاضرات مقياس:"منهجية إعداد مذكرة"
لطلبة السنة الثانية ماستر: تخصص إفريقيا جنوب الصحراء

المحاضرة الثالثة: جمع المادة التاريخية: مطالبها وخصائصها

مفهومها وأهميتها:

لا يكتب التاريخ بناء على التصور ولكن ينطلق مما توفره الأصول – المصادر والمراجع – أولا، ويعتمد على ذهنية الباحث والمؤرخ في نقد النصوص والمادة التي توفرت لديه من مختلف المصادر والمراجع ثانيا، في هذه المرحلة الثانية يقوم الباحث بمقابلة المادة ببعضها في محاولة لاعادة بناء الوقائع التاريخية، والوصول الى نتائج حتى ولو كانت ضئيلة أو غير مؤكدة، أو دحض ونقد نتائج سابقة؛ ومن معاني عملية جمع المادة الاقتباس للنصوص والشواهد التاريخية المتناثرة في الوثائق والمصادر، وكذلك تحليلات وآراء المؤرخين والفلاسفة.

ترجع أهمية مرحلة جمع المادة التاريخية إلى أنها هي أطول المراحل زمنا، وإذا انتهى منها الباحث يكون قد أمضى على الأقل ثلثي مرحلة بحثه، وتبدأ هذه العملية من الوثائق

والمصادر وترتب زمنيا وأقربها للحدث، وهو ما يستدعي معرفة أولية بطبيعة الوثائق وبالمؤرخين والمؤلفين، ويجب أن يصاحب عملية التوثيق – جمع المادة – منذ البداية الاستيعاب وطرح الأسئلة حتى تتوسع مجالات البحث من جهة وتعرف المعلومات المتكررة ولا يضيع جهد الباحث في تسجيل ما هو مسجل، إضافة إلى أن القراءة المتأنية تساعد الباحث على صب المادة في الخطة في مكانها، وهي محطة مهمة وتسهل المرحلة التالية في البحث وهي البناء والتركيب.

إن القراءة الناقدة خلال هذه المرحلة تثير الأسئلة البناءة وتعرف الباحث بالقضايا والإشكالات ذات الأهمية القصوى من القضايا ذات الأهمية الوسطى والدنيا، وبالتالي تترقى له إشكالية البحث الأولية وتبرز له عناوين الفصول والمباحث واضحة ومرتبة، فالباحث في الدراسات العليا هو قارئ قبل أن يكون متلقٍّ، وكلَّما ازداد حجم قراءاته، واتسعت مداركه كلَّما كانت بحوثه أكثر توفيقا، وأعمق أثرا، فبالإضافة إلى البحوث السابقة والجارية في مجال تخصصه عليه أن يطلع على ملخصات كتب المراجع العلمية، وكتب الثقافة العامة، والمجلات المحكمَّة وغير المحكَّمة، ومواقع الأنترنات الجادَّة في مجال اهتمامه... الخ.

يقسم بعض الباحثين المصادر إلى نوعين: مصادر أولية وهي المعاصرة والقريبة للحدث وموضوع الدراسة، مثلا إذا كان لدينا موضوعا حول "الطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والصحراء الكبرى خلال الفترة الحديثة". فان كتب الرحالة الذين رافقوا القوافل والمراسلات الدبلوماسية بين سلاطين وأمراء الممالك الصحراوية ودول الشمال الإفريقي وكذلك الرواية الشفوية تعتبر مصادر أولية.

أما المصادر الثانوية أو ما تعرف بالمراجع فهي كل ما كتب عن الموضوع من كتب ومقالات ودراسات أكاديمية، وبعضها يرتقي إلى أهمية المصدر مثل الأطروحات أو المؤلفات التي تشتمل على وثائق معاصرة للموضوع، إضافة إلى أن الدراسات والمراجع على العموم تفسر وتنقد الأحداث الواردة في المصادر، مع العلم أنها جهود علماء وباحثين سبقونا ويجب ألا تضيع أو تهمش.

مطالب ومحاذير: قبل وأثناء عملية جمع المادة على الباحث أن يراعي:

- ضرورة ترتيب المصادر والمراجع حسب أولويتها وأهميتها للموضوع، فالأرشيف أولا وأي نوع وأي مجموعة منه، ثم الوثائق المطبوعة فمصادر التوثيق الأخرى حسب أهميتها، وطبيعة الموضوع نفسه هو الذي يحدد هذه الأهمية؛ مثلا موضوع اجتماعي لفترة زمنية محددة أصوله الأولى هي التقارير والإحصائيات والصحافة المعاصرة، وإذا كانت مرحلة الموضوع قريبة من الباحث يمكنه الاستفادة من المذكرات والرواية الشفوية، فطبيعة الموضوعات هي التي تحدد أولوية المصادر، فعادة أن المجازر الاستعمارية لا نجدها مدونة في الأرشيفات الإدارية للدول، خاصة إذا كانت منشورة أو يسمح للباحثين الاطلاع عليها.
- على الباحث أن يتجنب الاعتماد على مصدر واحد أو مجموعة مصادر ترجع إلى تيار واحد من المؤرخين، لأن تعدد المصادر تسمح بمقابلة المادة العلمية ببعضها، وتثير الأسئلة

التي تخدم البحث؛ وإذا لم تتوفر مصادر أخرى فعلى الباحث أن يرجع إلى وسائل أخرى كطرح تساؤلات حول الموضوع، لأن الاعتماد على مصدر واحد قد يوقع الباحث في مزالق تؤثر على نتائج وقيمة عمله.

- أولوية الوثائق غير المنشورة وذات الطابع الخام على الوثائق التي تم التعامل معها، فالوثائق المطبوعة يجب أن تثير تحفظ الباحث، ما الغاية من نشرها؟ سواء كانت تتعلق بموضوعات التاريخ الوقائعي أو دراسة القضايا الاجتماعية والثقافية.

- بعض الموضوعات تتطلب ترتيبا زمنيا للمادة العلمية - التسلسل الزمني - ويندرج تحته الترتيب الموضوعي، وموضوعات أخرى توزع المادة موضوعيا أولا.

- عند الانتقال إلى المراجع والدراسات العلمية على الطالب أن يركز على التحليل والتعليق والمقارنة أولا.

- على الباحث أن لا يقتصر على العودة إلى الكتب التي تناقش وتتصل بموضوعه اتصالا مباشرا فقط، بل عليه أن يستعين بمؤلفات وعلوم مساعدة له، وقد يجد فيها مادة علمية قيمة، أو تساعده على الأقل على إدراك وفهم موضوعه، مثل بعض الكتب الأدبية، والجغرافية والفقهية والعمرانية وغيرها، إضافة إلى القواميس والأطالس ودوائر المعارف، فإذا كان موضوع الباحث عن الحروب والصراعات بين الدول في فترة زمنية ما، فعليه الرجوع إلى الدراسات المتعلقة بتطور العلاقات الدولية لتلك الفترة، وعلاقتها بالمراحل السابقة واللاحقة.

- على الباحث كذلك أن يوسع قراءاته خارج الفصول والمباحث المرتبطة مباشرة بموضوعه، لأن ذلك أفيد له تكوينا وفهما، وتمكنه هذه الخطوة من أدوات البحث والنقد، وتكسبه زادا معرفيا على المدى المتوسط والطويل، فالقاعدة هي: "أن أغزر المؤلفين إنتاجا أكثرهم مطالعة"، إضافة إلى أنها تخدم موضوعه بطريقة أو بأخرى.

- توجد طريقتين لجمع المادة العلمية: الأولى أن نأخذ نصا يرتبط ارتباطا مباشرا بالموضوع كشاهد أو دليل على واقعة تاريخية، وقد يكون النص في حجم فقرة أو أقل أو أكثر، فينقل حرفيا ويوضع بين شولتين" " للأمانة العلمية، على أن يكتب بأسلوب الباحث أثناء التحرير، ويسجل مصدره – المؤلف، عنوان الكتاب، الصفحة -. والطريقة الثانية هي تلخيص أفكار النص الطويل الموجود في أصله في صفحة أو بضع صفحات، بأسلوبنا وباختصار، وهي عملية تصعب اليوم على الكثير من الطلبة والباحثين، كما أنها تميز الباحث الجاد عن غيره، ويجب مع ذلك نسبة ذلك الملخص وتلك الأفكار لمصدرها وصاحبها، لأن الباحث هنا لخص ونقل أفكار غيره.

طريقة تسجيل المعلومات:

الطريقة التقليدية المستعملة عند الباحثين هي تسجيل المعلومات على بطاقات لها شروطها ومواصفاتها، وهي نفس الشروط والمعايير المستعملة اليوم ولكن على جهاز الكمبيوتر الذي سهل العملية كثيرا، فيمكن توزيع أقسام وفصول ومباحث الدراسة في ملفات، كما يمكن تجزئة العناصر إلى أكبر عدد حتى يسهل صب المادة العلمية، والميزة الكبيرة والمهمة لهذه

الأداة أنها تسهل عملية تحريك العناصر والمادة العلمية داخل الفصول والمباحث، وكذلك التعديل والحذف والإضافات.

أما من حيث طريقة التسجيل فلا تختلف سواء على الجهاز أو البطاقات أو الملفات، فيأخذ الباحث النص اقتباسا أو تلخيصا ويضعه تحت عنوان القسم الذي يليه عنوان الفصل وبجانبه عنوان المبحث (وربما عناوين أخرى فرعية)، مع تسجيل أصله بتدوين: المؤلف، عنوان الكتاب، الصفحة؛ وأثناء مرحلة التسجيل وتراكم المادة يمكن للباحث أن يحركها من مكانها بسهولة، دون أن ينسى تسجيل تلك المادة في ملفات جانبية أو نقلها إلى بريد الإلكتروني حتى لا تضيع منه بسبب أو آخر.

متى ينتهي الباحث من مرحلة جمع المادة العلمية؟ يتوقف الطالب من هذه المرحلة خاصة في مذكرة الماستر حيث المدة الزمنية محددة نتيجة ثلاثة عوامل رئيسة هي:

- بعد رجوع الطالب إلى أهم المصادر والمراجع والدراسات الأكاديمية ويحسن استغلالها.
- عندما يجد الطالب أن عناصر بحثه توفرت على المادة العلمية اللازمة، وبتوازن بين الفصول والمباحث.
- وأخيرا يتوقف الطالب عن جمع المادة بعد أن يرجع إلى المشرف ويأذن له بالدخول إلى مرحلة المعالجة والتحرير.

المحاضرة الرابعة: مرحلة المعالجة والتركيب

تعتبر هذه المرحلة من أصعب وأهم مراحل البحث، ورغم قصر مدتها الزمنية فإنها تتطلب تركيزا وجهدا عقليا، وتوظيفا لكل القدرات الذهنية وأدوات النقد، وعليها يتوقف حسن تقديم الوقائع التاريخية وتحليلها واستخلاص النتائج المناسبة؛ وعنوان هذه المرحلة الرئيسي هو: نقد وترتيب وتركيب للمادة المتوفرة.

بعد استكمال الباحث مرحلة جمع المادة العلمية يقوم بدراسة ما جمعه دراسة دقيقة ومتمعنة فصلا بفصل وعنصرا بعنصر حسب الخطة الأولية، ثم تعدل الخطة إلى تصميم نهائي ملائم وعملي، يتلاءم مع المادة المتوفرة للباحث، والمادة المتوفرة ترتب وتوزع حسب الاحتياجات المطلوبة، وإذا كانت علمية وعملية تسهل عملية التحرير بطريقة منطقية وتسلسلية وواضحة؛ في هذه المرحلة يضبط الباحث خطته ضبطا نهائيا، وبقدر ما تكون مجزأة ومفصلة تسهل عليه عملية التحرير، ويتحقق ذلك بـــ:

- يجب أن يقوم الباحث بإعادة دراسة المادة دراسة دقيقة ويصنفها حسب المصادر، ويرتبها بدءا من المصدر الأول فالثاني فالثالث...الخ، وحتما ستظهر بعض الفراغات يملؤها الطالب بما توفر له من مادة حول العنصر أو الحدث من مصادر ومراجع أخرى.
- يمكن للباحث أن يستأنس بمجموعة من الأسئلة تساعده على ترتيب وتركيب المادة العلمية التي جمعها حول حادثة أو ظاهرة تاريخية (بمعنى عنصر من عناصر الخطة) وهي:

+ تحديد الحقيقة – الحادثة أو الظاهرة- المدروسة.
+ تحديد زمنها وتطورها.
+ تحديد أدوار التطور ومراحله.
+ إبراز عوامل التطور.
+ تحديد النتائج التطور وآثارها القريبة والبعيدة.

ويختزل بعض المؤرخين هذه الأسئلة في سؤالين اثنين مهمين هما: كيف؟ ولماذا؟

وباختصار على الباحث أن ينظم المادة العلمية التي توفرت لديه على النحو الذي يمكنه من أن يضعها في السياق التاريخي الملائم.

- إن شخصية الباحث وخياله المبدع وسعة معارفه وعلمية تفكيره ودقته وحسه النقدي وقوة ملاحظته وقدراته المتنوعة هي الشروط الأساسية لنجاحه في هذه المرحلة خاصة وفي كل بحثه.
- تنتهي عملية التركيب إلى تكوين قطعة من المعرفة التاريخية المنظمة من حقائق جزئية.
- تصنيف الوقائع يكون زمنيا، جغرافيا، منطقيا، وموضوعيا وهي متداخلة.
- على الباحث أن يجمع خلال عملية التركيب أو البناء التاريخي العناصر المأخوذة من مصادر تاريخية متعددة، ويحاول أن يكون منها صورة عقلية تشابه الصورة الموجودة في ذهن شاهد العيان أو كاتب المصدر – الأصل التاريخي – ثم يقسم الباحث تلك الحقائق إلى مجموعات على أساس من التشابه القائم بينها.

إن ما يصل إليه الطالب بعد مرحلة التوثيق ليس الوقائع ذاتها كما حدثت ولكن مخلفاتها المادية والأدبية التي تركتها تلك الوثائق والنصوص، بمعنى أنه تم الوصول إلى معرفة تاريخية غير مباشرة، تنقصها سلسلة من العمليات النقدية للوثائق المكتوبة، وهي عملية صعبة لأنها ترتبط مباشرة بنفسية الإنسان، باعتبارها أثرا نفسيا رمزيا لا حسيا شخصيا كالمتاحف والعمران؛ وهي من أصعب العمليات لأن المصادر والمعلومات معرضة للتلف والتزوير بسبب قدمها أو تدخل الانسان فيها، لهذا تطرح تساؤلات حولها أهمها مدى موضوعية الوثيقة ومدى تطابق مضمونها مع ما ورد في غيرها من الوثائق والمصادر.

- عملية النقد ضرورية للنصوص والوثائق حتى يتأكد الباحث من نسبتها لأصاحبها ومن صحة النص كما وصل إليه، والعملية تتركز خاصة على النقد بقسميه الباطني والظاهري.
- في عملية النقد يعتمد الباحث كثيرا على ظروف وثقافة وإيديولوجية المؤلف أو الراوي.
- تعتمد عملية النقد كذلك على "الموازنة" بين النصوص والأحداث الواردة في مختلف المصادر، فكلما تعددت مصادر الباحث حول الحدث والحقيقة التاريخية وفهم مغزاها وقيمتها، اتضحت له صورة الماضي أكثر.

ومرحلة المعالجة عموما تجنب الباحث مزالق عديدة أهمها:

- التكرار في الموضوعات.

- هذه الطريقة تجنبه تشويه الحقائق، لأن البدء في البحث من خلال فرضيات كثيرا ما يجعل المعالجة غير علمية.
- إن القفز على هذه المرحلة يوقع الطالب في حلقة مفرغة، وتتراكم عليه الصعوبات في مرحلة التحرير.

إذن فعلى الباحث إتباع هذه المراحل بداية بالعثور على المصادر ثم استخراج المادة العلمية ثم معالجتها ودراستها وتنتهي إلى الكتابة التاريخية، وتقتضي هذه المسيرة الدقة والحذر والجهد والصبر وتوفر الملكات الخاصة بمثل هذا العمل.

نستنتج مما سبق أن الباحث الكفء ليس مجرد جامع للمعلومات ومركبها بطريقة عشوائية، بل يجب أن يمر بسلسلة من عمليات النقد والمعالجة، ثم الترتيب والتركيب للوقائع والظواهر وفق شروط موضوعية ومنطقية، توصله للإجابة على إشكالية الدراسة والأسئلة المطروحة في ثنايا البحث.

ملاحق:

- كان المؤرخ والمربي الانكليزي اللورد أكتون John Dalberg-Acton يوصي طلابه في "كامبريدج": "ادرسوا مشكلات لا فترات زمنية".
- يقول المؤرخ روبير هنري بوتيه R.H.Bautier: "يتوقف المؤرخ على أن يكون اركيلوجيا (باحث آثار) بالضرورة عندما تكون الحضارة التي يدرسها قد احتفظت بأرشيفات سلطتها العامة ...عندها يكتب التاريخ بطريقة علمية دون أن يعيد تركيبه معتمدا على الظن أو الاحتمال".
- يقول المؤرخ الانكليزي كولنفود:"كل شيء في العالم يمكن أن يغدوا شاهدا على أية مسألة كانت".

مراجع

- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي.
- ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي.
- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي.